مقـــدمة

الجوانب المتكاملة فى الدارسة على منطقة "ريجيو أميليا"، "هاورد جاردنر" :ـ

هذه الدراسة تهتم بمناقشة النواحى التعليمية فى الوقت الراهن وهذا الكتاب يحتوى على مجموعة من المقالات المتكاملة عن المنهج المتفرد لتعليم الأطفال فى مراحلهم الأولى ولذلك فأن هذا الكتاب وأسمه "مئات اللغات للأطفال" يهتم بدراسة مجموعة من المدارس التى تم تطويرها خلال ثلاثون عاماً فى منطقة "ريجيو أميليا" فى شمال أيطاليا وفى نفس الوقت فأن هذا الكتاب يتبنى نظرة تفهم عميق لطبيعة البشر فى المراحل الأولى من العمر والطرق التى بها نتمكن من التحكم إرشاد هذه الطبيعة وكيفية تحفيزها فى مواقف ثقافية مختلفة ويجب على كل من يهتم بتعليم الأطفال أن يقرأ هذا الكتاب.

فى أولى صفحات هذا الكتاب سوف تقرأ القصة المميزة للمدرس الأيطالى صغير السن ذو التوجهات العقلية ـ لوريس مالاجوزى ـ كيفية أنه أصبح مهتماً ببناء مدرسة جديدة بعد الحرب العالمية الثانية كيف أن هذا الدافع الوقتى تحول إلى إهتمام مدى الحياة بالأطفال صغار السن وبدون أى شك فإن مالاجوزى هو المفكر العبقرى صاحب الفكر الأرشادى فى منطقه ريجيو والذى يستحق أن يُذكر اسمه فى نفس الوقت مع المفكرين أمثال (فروبل)، (منتسورى) (ديوى) (بياجيه) وبالأضافة لذلك فإن مالاجوزى توجه إلى فكر أبعد من ما قام به هؤلاء المفكرون حيث كرس حياته فى تأسيس مجتمع تعليمى وتكوين مجموعة مميزة من المدرسين فى قطاعات مختلفة ممن يعملون سوياً مع المتخصصين لعدة سنوات مع الأباء؟ أفراد المجتمع والأطفال بشكل عام.

ويمكن وصف نمط ريجيو البحثى كالآتى :

هى مجموعة من المدارس للأطفال صغار السن يتم فى هذه المدارس أرشاد وتطوير الجوانب العقلية والعاطفية الاجتماعية الأخلاقية للأطفال ونظام التعليم فى هذا النمط يشمل على الأطفال صغار السن فى مجالات بحثية طويلة الأمد ويتم تطبيقها فى بيئة جميلة صحيحة يملؤها مشاعر الحب.

ولذلك فهناك تناقض كبير بين الفلسفة وطريقة وأمكانية تطبيقها مثال الباحث "ديوى" الذى كتب عن التعليم التطورى لعدة سنوات ولم تستمر مدرسته التطبيقية لأكثر من ٤ سنوات وفى المقابل فإن مجتمع ريجيو هو الذى حقق أنجازات لأفكار الباحث مالاجوزى من خلال تطبيق أرائه وفكرة على أرض الواقع.

وكما أن منطقة "ريجيو" تمثل عدة أنجازات للأفراد والجماعات فإن هذه الدراسة الحالية تتميز بمجموعة من الأفراد التى تفاعلت مع هذه البيئة من خلال وجهات نظرهم المختلفة والمتكاملة وداخل البيئة فى "ريجيو" هناك عدة مقالات قام بها عدة أفراد تمثل التعليم والمبانى التعليمية والعلاقات فى المجتمع التعليمى ومن وجهة النظر الأمريكية فأن هناك أنطباعات للفلاسفة وصانعى الأفلام والمعلم التطويرى وعدة باحثون ممن قاموا بدراسة الأبعاد المعرفية والعاطفية والاجتماعية للمشاريع التى قام بها الأطفال والمدرسون فى "ريجيو" هذه الانطباعات يجب أن يتم الأهتمام منها. وهناك أيضاً التواصل بين الباحثين المعلمين ممن قاموا بالانتقال بين منطقة (ريجيو)؟ وهم يشتركون فى خبراتهم وتطويرهم لمنظومة أبحاثهم وهؤلاء الباحثين ساهموا فى أن تصبح منطقة ريجيو مشهورة فى أنحاء العالم.

وبذل الكتاب فى هذا الكتاب مجهود كبير فى أعادة تكوين الصورة عن الطبيعة الخاصة بمنطقة ريجيو من خلال الصور والأشكال العديدة التى ساعدت فى أضافة العنصر البصرى فى الصورة العامة لمنطقة البحث ولا شك أن المعارض العديدة عن منطقة ريجيو ساعدت فى تقديم صورة مكثفة عن منطقة البحث بالأضافة لما ساهمت به المعالجات للأفلام عن ريجيو بالطبع لا يوجد بديل عن السفر إلى منطقة ريجيو ونشر هذا الكتاب سوف يساعد فى زيادة الأعداد التى تتوجه إليها.

وعند قرأة كتاب "مئة اللغات للأطفال" سوف تتفهم عدة تصورات ومفاهيم فالكثير تم كتابته عن الطرق التقدمية فى التعليم ولكن قلما يتم تطبيق هذه الطرق والأفكار ومن ضمن أسباب أهمية هذه الدراسة هى الحاجة إلى فريق متكامل يعمل فى خدمة عدة أفكار ومفاهيم وهذا الفريق يعمل على تطوير عدة أجراءات من أجل الحصول على جودة تعليمية فى نفس الوقت تشجيع نمو الأفراد المشاركين فى البحث الكثير تم كتابته عن الطاقة التى تتوافر فى صغار السن ولكن القليل من هذه الشعارات هى التى تم تطبيقها فقط. فى منطقة ريجيو يعرف المدرسين كيفية الأستماع إلى الأطفال وكيفية تحفيزهم إلى أخذ المبادرة وكيفية أرشادهم بطرق بناءه.

ولا يوجد هناك تأكيد على تحقيق نفس مستويات الكفاءة التى قد تتحقق مع التعامل مع البالغين ولكن كم الجهد المبذول يؤكد على تحقيق مستوى الكفاءة المطلوبة. نجحت الدراسة فى دراسة والتعامل مع عدة متناقضات خاطئة مثل الفنى فى مقابل العلم والأفراد فى مقابل الجماعة والطفل فى مقابل البالغ والمتعة فى مقابل الدراسة والأسرة الممتدة والأسرة غير الممتدة من خلال التناسق الفريد الذى يقوم بالتعامل طويل الأمد مع هذه المتناقضات.

فى المجتمع الأمريكى هناك عدة متناقضات غريبة مثل الشعور بالفخر لدينا يسبب تركيزنا على الأطفال مع هذا فلم نولى الاهتمام الكافى لما يقومون بالتعبير عنه. ونحن أيضاً ندعو لى التعليم المشترك بين الأطفال ومع ذلك لم يتحقق هذا التعاون إلا فى نطاق تحليل فى مستوى المدرس والأدارة ونحن ندعو إلى العمل الفنى ولكننا لا نوفر البيئة المناسبة لتى تساهم فى تحقيق هذا العمل الفنى نحن ندعو إلى اشتراك الأباء فى النواحى التعليمية ولكنا نشعر بكره شديد أن نتشارك فى المسئولية والاحترام والتقديس مع الأباء ونحن ندعو إلى الحاجة إلى التوجه إلى الطرق الأبتكارية والكشفية ولكن لا يوجد لدينا الثقة الكافية لكى نجعل الأطفال تسعى وراء حد سهم ونحن ندعو إلى الحوار ولكننا لا نسمح به.

نحن ندعو للأستماع للأطفال ولكننا نفضل التحدث. فى البحث الخاص لمنطقة (ريجيو) لا توجد هذه المتناقضات حيث يعمل الباحثون على أزاله أى متناقضات.

ومن الخطأ النظر إلى منطقة (ريجيو أميليو) نظرة رومانسية من الواضح فى هذا الكتاب أن ريجيو عانت كثير من الصراعات فى الماضى ولا يمكن تجاهل هذا الصراع فيما يمن أن يتم تحقيقه فى الوضع الراهن ولم تكن العلاقة مع الكنيسة الكاثولوكية على أفضل حال ولم يتوقف الصراع السياسى على المستوى القومى المحلى السياسى بالإضافة لذلك فإن الإنجاز الذى يحققه صغار السن فى النواحى التعليمية يتم تهديده لنظام التعليم الثانوى الذى يتصف بأنه أقل بكثير فى النواحى الأبتكارية وتتميز (ريجيو) بنجاحهما فى التعامل مع هذه المشاكل بإيجاد حل دائم ولم تقوم بمناقشة هذه المشاكل من الجانب النظرى فقط.

وكان للباحث الفرصة فى زيادة عدة مراكز تعليمية فى عدة بلاد واستفدت الكثير من هذه الزيارات. وكما هو الحال مع السائحون التعليميين فقد تأثرت كثيراً بمتاحف الأطفال التحفيزية فى المدن الكبيرة فى الولايات المتحدة وبيئة الفصل الدراسى التى لا تعتمد على التنافس فى الدول الاسكندنا فيه، التدريب الداعم للمهارات الفنية فى الصين والأشتراك الجماعى فى الأنشطة القائمة على حل المشاكل فى اليابان. ويجب على كل من هذه البيئات التعليمية أن نجد حل للتناقض بين رغبات الأفراد وحاجات الجماعية، وبين التدريب على المهارات والتدريب على أكتساب الخبرات الأبتكارية، وبين التقدير والأحترام للأسرة والأشتراك فى مجتمع أوسع الأهتمام بالنمو المعرفى والأهتمام بالنواحى النفسية والشعورية.

وهناك عدة طرق للتعامل والتوسط بين هذه الرغبات المختلفة وبالنسبة لى فلم توجد أى مدرسة ساهمت بمثل ما ساهمت به مدرسة (ريجيو أميليا) ولذلك فليس من المستغرب أختيار مجلة "نيوزيك الأمريكية، هذه المدرسة كأحد أفضل المدارس فى العالم فى ديسمبر سنة ١٩٩١.

مئات اللغات للأطفال:-

المنهج المستخدم فى (ريجيو أميليا) فى التعليم للأطفال فى المراحل الأولى

كارولين أيدوارد، ليلاجانددينى، جورج فورمن

بعض المؤشرات:

قصة مالاجوزى والقصص الأخرى

القصة التى قام بروايتها (مالاجوزى) فى مقابلة شخصية مع (ليلا جانديني) جعلتنى أتذكر أول لقاءاتى مع (مالاجوزى) وكان ذلك فى مؤتمر (ريجيو أميليا) فى مارس سنة ١٩٩٠ عندما كان يتحدث عن الموضوع الرئيسى فى المؤتمر وهو أمكانيات وحقوق الأطفال. وقصة (مالاجوزى) ذكرتنى بالعديد من القصص التى تم ذكرها فى أوقات وأماكن مختلفة وكانت كل هذه القصص تسعى من أجل أنشاء نظام تعليمى يماثل ويساعد المواهب المتعددة للأطفال صغار السن، ومعظم هذه النجاحات ثم تقليلها وتحديدها ومع ذلك فهذه النجاحات كانت الخيط الذهبى بعيداً عن فترة أهمال البالغين وبالرغم من أن التعليم هو من أهم جوانب الشخصية البشرية فلم يؤيد هذا النجاح إلا عدد قليل وتم تجاهله بواسطة الفكر العام فى المجتمع حتى بواسطة النظرة العلمية.

ومن الأفضل أن نُذكر أنفسنا بقليل من القصص الأخرى وقد أشار (مالاجوزى) إلى بعض هذه النماذج وخاصة واضعى النظريات ففى مجال التعليم فإن النظرية الجيدة تأتى كحصاد وأنعكاس للتطبيق والممارسات الناجحة. والممارسات والتطبيقات النظرية السابقة فأن النظرية تساهم فى تكوين ممارسات جديدة أرشادية ومن الأمثلة البارزة لهذا التوافق كان الجزء الذى قام به (جون ديوى).

ففى عصر (جون ديوى) منذ ما يقرب من قرن مضى كانت هناك ممارسات قليلة جداً على تعليم الأطفال فى الولايات المتحدة وهذه الممارسات القليلة كانت تنبع من الخبرات فى دور رياض الأطفال الخاصة بالباحث (فروبل)، وكثير من المدرسات الأقوياء تلقوا دعم كثير بواسطة وعن طريق مفهوم (فروبل) عن العملية التعليمية. والمدرسون المميزون الذين أشتركوا فى هذا التطور العلمى كانوا يبحثون عن مفاهيم وأرشادات نظرية جديدة وقد وجدوها فى نظرية (جون ديوى) الفيلسوف وعالم النفس ذو الفكر الثاقب ولكن يجب على الباحثين الذين يستخدمون نظرية (جون ديوى) أن يطبقوها أولا لطالب ذو عقلية وعبقرية فذة حيث أن ممارسات (ديوى) النظرية كانت موجهة لمُحاضر الجامعة ونظريته هى أنعكاسية بصورة كبيرة ولكنها

جافة كالتراب إلا للأفراد التى تشترك معه وتأثرت بروحه ونظريته. وبالرغم من أن كثير من المعاصرين قد تأثروا بوضوح مفاهميه وتصوراته إلا أن تأثيره كان قليل فى عدة دول ممن لم تهتم بتعليم الأطفال.

وبالرجوع للخلف قليلاً فإن (فروبل) قد ربط نفسه نظرياً بالباحث (هيجل) وأرتبط (جون بستالوزى) فى ممارسة النظرية والتزامه بها حيث أن (بتسالوزى) ساهم فى أنقاذ الأطفال الأيتام عقب حروب نابليون وقام بإنشاء اهتمام عميق بتغذية وصحة الأطفال والأهتمام بمواهبهم وحدث هذا منذ قرنان.

ونعود للأمام فى الوقت حيث نجد أن ثمار هذا التطور لم يكن منتظم حيث أن تأثيراتها التطبيقية تمت فى كندا وفى قارة أوروبا وتطورت بصورة مختلفة فى إلمانيا والدول المتخصصة جغرافياً وفرنسا ودول اسكندنافيا وكان هذا التأثير كبير فى الولايات المتحدة ولكن هذا التأثير أنخفض بسبب وجود المدارس التى لا تلعب فيها دور الحضانة أى دور فى تعليم الأطفال ويجب أن نذكر التأثير فى بريطانيا حيث بدأ التطور التعليمى بنسبة صغيرة فى القرن التاسع عشر تحتر تأثير (فروبل ديوى) (وأخوات ماكميلان) وفى حين أن هذا التطور قد تأثرت فى الولايات المتحدة بسبب الإهمال والمعارضة بعد الحرب العالمية الثانية فقد أزداد هذا التطور فى انجلترا ففى بعض المناطق فى أنجلترا فقد تم تحويل نسبة كبيرة من مدارس الأطفال من سن ٥ إلى ٧ سنوات إلى نسبة صغيرة من مدارس الشباب من سن ٧ إلى ١١ سنة والحوار السياسى فى الوقت الحالى تجاهل وحد من هذه التطورات ولكن لم يتم الأعتراض على كل الطرق والوسائل التعليمية الجديدة.

وبعد ذكر هذه الأحقاب التاريخية يعود إلى التاريخ الرائع لمنطقة فى (ريجيو أميليا) وبعض المجتمعات الأيطالية حيث يتم تطور نظم ومفاهيم التعليم للأطفال وهذا التطور الذى يحدث بواسطة الدعم العام للمجتمع هو أنجاز سوف يدرسه الأمريكان بصورة كبيرة، ولكن من الخطأ أن نعتقد أنه بإمكاننا استيراد التجربة التعليمية فى منطقة ريجيو حيث أننا فى أمريكا تفتقد الترابط والمشاركة الاجتماعية التى تعيد تشكيل نفسها بالطرق التى وصفها (مالاجوزى) والتى تسعى من أجل الحصول على تعليم أفضل.

وبالرغم من أن كثير منا لم يتعرف بعد على التجربة الكاملة التعليمية فى منطقة (ريجيو) إلا أننا لدينا القدرة على الأخذ والعطاء لمثل هذه التجارب. ويجب أن نذكر هنا ممارسة تطوير المشاريع من أجل تحفيز قدرة الأطفال التساؤلية والأبتكارية.

وهذه الممارسات تشابه الطريقة التى تم تطويرها فى كاليفورنيا. وقد ساهم الباحث (فرانس ها وكينز) فى هذا التطور الأستراتيجى فى كاليفورنيا ومن خلال هذه المشاريع يشارك الأطفال فى أنشطة اللعب والمناقشة وهذا يساعد فى حماس والتزام هؤلاء الأطفال. وتبقى هنا عدة أسئلة عن الدرجة التى بها يساعد هذا الحماس مهارات الأطفال المكنونة والأقل تطوراً.

وهذه الأسئلة والتحديات يجب أن توجه فضولنا العقلى للأهتمام بالسنوات الأولى فى التعليم، وهنا تتواجد الحاجة إلى تطوير نموذج الممارسات فى الفصل الدراسى والتى تدعم وتخدم الأنشطة المختلفة عكس المشاريع النظرية ومن خلال هذه الأنشطة من الجائز أن يشترك جميع الأفراد المشاركين فى هذه الأفكار والقدرات الأبداعية ومن خلال هذا الأشتراك تتطور هذه المشاريع والنماذج.

ولقد ذكرت هذا المحور الخاص ـ المشاريع والنماذج ـ حيث أنه بقرائتى لخواطر ونظرية فالاجون ـ لم افكر فقط فى التاريخ المتسع لتعليم الأطفال ولكن عن التفاصيل والمناقشات والمشاكل والتى تتواجد فى كل مرحلة.